## لوجه الذوق فقط

رفع صاحب التوقيع وهو أحد طلاب الصف الخامس الادبي في كربلا مقاله هـــذا الى الاستاذة الآنسة عاتكة وهبي الخزرجي ناقداً فيه ( مسرحيتها ) وأنا في الوقت الذي نشجع شبابنا على النقد الادبي النزيه نكبر في المرأة العراقية هذا التوثب والتقدم في العلم والادب ، راجين من الآنسة الفاضلة ان يتسع صدرها الى قبوله ومناقشته على ضوء النقد الحر .

[ البيان ]

---

استاذتي المحترمة .

سواء لدي أقرأت كتابي هذا أم طرحته جانباً فلست اعرف ما نصيبه من خطأ أو صواب ، وكل ما اعرفه عنه انه خطرات عابرة استوقفت فكراً فاستنزلت من قلم متمرد فسعى اليك بها البريد رسالة بين دفتي كتاب ولست ادري أستبسمين حين تمري بعينيك على سطوره أم ستغضبين ؛ وسواء لدي ابتسامك وغضبك فليس فيه ما يحمل على ابتسام أو يدفع الى غضب وكل ما فيه انه مطية قطعت بها وقتي فخذيه انت مطية تركبين بها متن السأم وتزجين بها الفراغ إن كان لديك فراغ يدفع بك الى السأم دفعا ، والا فغذي به الموقد تحت قدميك واريحي باصريك من النظر اليه .

ولست اريدني على مدحك فلقد عفنا اهازيج المدح وملاحم الأطراء ، ولعلك تؤمنين معي بأن النقد في هذا البلد مدح يكال في غير حق أو حقد ينفث في ثياب نقد . هذا القد في جلابيب المدح والمدح في تراكيب النقد ، والحقد يلبس ثوب النقد والنقد يتخذ ذريعة الحقد وهلم صاعداً ونازلا ، هو باية الادب في هذا البلد المنكوب . وليست البلية في هذا فحسب ، فلو كان لحمدنا الله عليه ، وانما البلية ان يحكم القديم في الجديد بكل وجه من وجوه الحياة الادبية . فكتابتنا بنشء الكتب الأقدمين ونشرها على رؤوسنا اكفاناً لعلن عقم النفوس وجدب العقول ، وان جد فيها شيء فهو لم يضرب على وتيرة ممجوجة ، وشعرنا كلمات ترصف ثم ينفخ فيها من روح امرئ القيس أو البحتري أو غيرها لتكون شعراً وكفى ، فلست بواجدة فيها شيئاً من روح العصر الذي نحياه والظرف الذي نجتازه ؛ فلا تري فيه صورة حياتنا ولا تشعي منه روح عصرنا ؛ مثله مثل التمثال صنعه صانع قاصر فلا حيوية تدعو اليه ولا جمال يرغب فيه ، اللهم الا ومضات باهتة في هذا الظلام المحيق لا تكاد تبصر حتى تتلاشى مرور الحلم الجميل في عين الحالم الوسنان .

ولقد عذرنا الأقدمين على صنيعهم هذا فليس بمسؤول من تفتحت نفسه على ظلام العهد البالي ( تكلة ) عن الاحساس بمظاهر العصر وتلمس جوانب الحيوية فيه ، فهم قد انطفأ لهيب احساسهم على برود العهـــود الخوالي وليس لديهم إلا رماد ينفخون فيه فيجدون تحته بصيصاً يفنى بين ايديهم فلا يحصلون على شيء ابداً ، فيدورون على انفسهم في دائرة من هذه الافكار الحيرة يحيطونها ببراقع من لفظ الاشراق فيه لأنه يراد به ان يبعث في عصر يلفظه ولا يرضاه . وهذا عقم النفوس وجدب العقول باجلى صوره واظهر مبانيـــه . قلت عذرنا الأقدمين على صنيعهم ذاك لانهم لا نصيب لهم من تلمس جوانب هذه الحياة الهائجة المضطربة ، فأيديهم تقرع ابواب القبور واقدامهم تسير بهم جاهدة الى لحودهم ، ولكن ما عذر المحدثين الذين اخذوا من هـــذه الحياة الهائجة المضطربة بنصيب وافر كبير ؟

هؤلاء المحدثون الذين انكفؤا على وجوههم في لجة الماضي السوداء يملأون اكفهم من وردها ، هم الذين خيبوا ظنونا في الحياة الادبية الجديدة التي كنا نترقبها منهم ومنهم وحدهم .

حياتنا مأساة ! فاني المأساة في شعرهم وادبهم ؟ وحياتنا سخرية من انفسنا فاين الكوميديا في شعرهم وادبهم ؟ بل أين أين اولئك الذين يقولون للشعب الجاهل الذليل المستكين الى هذا الذل والقانع بذلك الجهل ان لك حقوقا فخذها وعليك واجبات فأدها وان حياتك مأساة وسخرية فاسع الى تحسينها ؟ !

ولقد نعذر الادباء الشباب في هذه المرة ايضا مع انتفاء العذر لهم وانما هو عذر اليأس ، ولكن ما بال الاديبات الشابات ينغمرن في هذه الموجه من الادب الجامد ؟ النساء أرق شعوراً واكثر احساساً بالمأساة والملهاة من الرجال واكثر تهويلا لها

واقدر على وصفها فأين هذه المصيبة المحيقة بنا من كل جانب في ادبهن ؟ . لا اكاد اجد شيئاً إلا كما قلت سابقا ومضات باهتة سريعة الفناء بين يدي الواقع الاليم . ولعلك عرفت الآن ان النظر في مسرحيتك انما يركب اليه في طريقين اثنين وليس بدرب واحد اول الطريقين هو هذه الروح الواهنة البالية التي يراد بها ان تجمع كل شيء الا ان ترسم العصر الذى تنشأ فيه أو تعطي الصورة الكاملة له وهذا هو الشيء الاكبر . فركن المسرحية الاول مهدوم ولكنها لا تخلو من بعض الفورات النفسية والنفثات الحرى مما اكسبها بعض الروعة واللذة . أفلا ترين معي ان بيت:

وليس لنا من شاغل غير مغزل  وغير لسان ليس من شأنه الجد

هو صوره حية وافرة الحيوية لحياة المرأة العراقية المتمدنة — هذه المرأة — والتي هي من الطبقة الاولى في الاعم الاغلب هي واحدة من البلايا التي امتحنت بها هذه الامة الجريحة ، فليس لديهن غير التحدث عن روبرت تايلور وعبد الوهاب ، والتفنن في انتقاء الازياء وما الى ذلك من هذه السفاسف التي تأباها الشعوب الحية الناهضة وترفع عنها . اما أنا فأقرأ هذا البيت واصفق له طربا فهو يعطيني الصورة الحية الناطقة للقسم الاشل المشل من هذه الامة ولها . وسؤال آخر ؛ سهل يسير اجيبي عليه إن شئت واهمليه إن اردت ، كم دفاقة حيوية في هذا البيت الخاضع المستكين :

فان شئت تعذبني فاني عبدة  وانت رؤوف بالعباد أيا ربي

! اكاد احس الحرارة تلفح وجهي عند قرائته واكاد امد يدي الى اللاشيء فاقبض على قلب دفاق حي ملتهب اذا اعتبرنا كلة [ رب ] بمعنى صاحب وصاحب الشيء مالكه ومالك العبد مولاه . ثم ما هذه الروح التشاؤمية السوداء التي تريدين ان تسبغيها على نفسك فينطبع بها ادبك فيسود فيحمل الى القلوب يأساً وتشاؤما ، هو شر ما تبتلى به الشعوب النامية الهادفة الى الرقي . لا اكاد اجد مكانا لهذين البيتين :

سئمت حياة كم تكدر صفوها  فو الله لم يعذب لواردها ورد
فان اوعدتكم انجزتكم وعيدها  وان وعدت فالوعد يقبعه الوعد

في هذه المقطوعة ابداً ، بل لا اكاد اجد لحشرها في هذا المكان مخرجا اللهم الا ان تكون نفس الشاعرة يوم كتبت قد ألم بها حادث مؤلم سد عليها سبل التفكير فرأت الحياة كالحة سوداء فتظمت فانطبع سواد دنياها على ادبها — في تلك الساعة — وليس بالجيل الناشيء حاجة الى اليأس والتشاؤم ، بل هو محتاج الى من يبعث فيه الثقة بنفسه ويرسم له صورة الحياة مشرقة بيضاء فيها كل دافع الى الطموح والاستعلاء . وما هذا التجاهل لمعنى الحياة ورسم المستقبل على ضوء هذا الفهم ؟

ألا فانسيا امر الحياة فانها  للغز وباب كل عن فتحه الجهد

لا اريد أن اقول ان جملة « وباب كل عن فتحه الجهد » غلط لأن الجهد لا يكل وانما يكل باذل الجهد وهو الانسان ، فهو خطأ سافر ، وانما اريد ان اقول ان في هذا البيت رومانتيكية مفرطة أي ان حظ العاطفة اكبر من حظ العقل فيه ، وكل ما في الأمر ان الشاعرة تجبن عن مواجهة الواقع فتحيط نفسها بسياج من الغموض لتعيش في سماوات احلامها . ليست الحياة لغزاً مجهولا ، وانما هي شيء معروف ، ابانته الكتب السماوية وعرّفه الماديون ، وبين يدي الآن العدد السادس عشر بعد الأربعمائة للسنة الثامنة من مجلة الثقافة وأنا اطالع في الصفحة ٢٦ منه ما يقارب من الثلاثين تعريفاً للحياة دونت من عهد سقراط الى عهد انشتين وارجو ان ترجعي اليها لتزيلي جهلك بالحياة . وثاني الطريقين هو هذه الطريقة المعهودة مما يأخذ به اصحاب النحو واللغة من ماخذ . فانت تبدئين مسرحيتك بقولك « سئمت حياة الخ » وهذا كما ترين مأخوذ من قول المتنبي :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا  وعناهم من امره ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منـ  ـه وان سر بعضهم احيانا

وهذا تجن واضح ، غير ان فلسفة المتنبي مسخت في بيتك فانت نفيت السعادة بكل وجوهها والمتنبي اثبت بعضها بالاضافة الى ان بيتيه قد خسرا اشراقها وروعتها . ثم ما هذا التناقض في اقوالك ، فانت تنفين السعادة في اول بيت ثم تعودين فتقولين:

ولكنني اطرقت خيفة امره  سريعاً وصفو الدهر ليس له عود

أفليس في « صفو الدهر » نفي لما بدأت به ولا اثبات فيه ؟

وكأني بك لم تأبهي لتجنيك على المتنبي فعدوت على شاعر اعظم هو المعري فاخذت فكرته وجبتيها في قولك « فان اوعدتكم انجزتكم .. الخ » أفليس في هذا مسخا لقول المعري :

يا دهر يا منجز إيعاده  ومخلف المأمول من وعده

ثم الا ترين انك مسخت قول امريء القيس :